الفصل الثاني: صور من الانحراف عن عقيدة الولاء والبراء

1- الحكام جمعوا بين الحكم بغير ما أنزل الله وموالاة اليهود والنصارى.

من أكثر الفئات انحرافاً عن منهج الإسلام في الولاء والبراء في هذا الزمان -رغم ادعائهم الانتساب للإسلام- فئة الحكام الخارجين على الشريعة المسيطرين على بلاد الإسلام.

وقد اتسع خطر هذه الفئة على الأمة المسلمة حتى أصبحت أشد خطر يحرف الأمة عن عقيدتها، ويمنعها بالقوة من اتباع دينها، وذلك لأنها فئة شديدة الانحراف عن منهج الإسلام شديدة السيطرة على أمور المسلمين وأرواحهم وأموالهم، وفي نفس الوقت شديدة الانتشار فلا يكاد يفلت من شرها بلد من بلاد الإسلام.

وانحراف هذه الفئة انحراف مركب، فهي فئة لا تحكم بالشريعة بالإضافة لموالاتها واستسلامها لأعداء الإسلام الخارجيين وخاصة اليهود والنصارى.

فإذا نظرنا إلى موالاتهم لليهود والنصارى لوجدنا أنهم قد حولوا بلاد الإسلام وخاصة في العالم العربي إلى قواعد لتموين وحشد قوات اليهود والنصارى، فالناظر إلى حال الجزيرة العربية وإمارات الخليج ومصر والأردن يراها وقد تحولت إلى قواعد ومعسكرات للدعم الإداري والفني للقوات الصليبية في قلب العالم الإسلامي، زد على ذلك أن هذه الحكومات قد سخرت جيوشها لخدمة أهداف الحملة الصليبية الجديدة على الأمة الإسلامية.

والناظر إلى ظاهرة الحكام الخارجين عن الشريعة المسيطرين على بلاد الإسلام يجدها تمتد إلى عقود سابقة من الزمان في تاريخنا المعاصر، فقد استطاع أعداء الإسلام وخاصة الأمريكيين واليهود والفرنسيين والإنجليز -عبر سلسلة من المؤمرات والعلاقات الخفية والدعم المباشر وشراء الذمم والرواتب والحسابات السرية والإفساد والتجنيد- تمكين هذه الفئة من مصائر المسلمين، وهذا تاريخ ليس مجال شرحه هنا، ولكننا نشير إلى أن القوى المعادية للإسلام استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تحتوي وتصب هذه الحكومات في قالب النظام العالمي الممثل للحلفاء المنتصرين في الحرب وهو قالب الأمم المتحدة.

والأمم المتحدة –باختصار- في ميزان الإسلام هي هيئة كفرية عالمية مسيطرة لا يجوز الدخول فيها ولا التحاكم إليها تقوم على نبذ التحاكم لشريعة الإسلام، والرضوخ لإرادة خمسة من أكابر المجرمين في هذه الدنيا، يسيطرون على قيادة الأمم المتحدة المعروفة بمجلس الأمن.

ونشير أيضاً إلى أن أعداء الإسلام جعلوا هذه الحكومات تقبل بالوجود القانوني للكيان اليهودي في فلسطين عبر العديد من الاتفاقيات الرسمية والمواقف العملية، بدءاً من اتفاقية الهدنة عام 1949 إلى اتفاقيات أوسلو عام 1993. ثم جاءت قمة بيروت الأخيرة عام 2002 لتؤكد على إجماع الدول العربية على قبول الوجود الإسرائيلي قبولاً تاماً.

وجدير بالذكر أن الصلح مع إسرائيل والاعتراف باستيلائها على فلسطين يتضمن إنكاراً لأحكام شرعية واجبة ومعلومة من الدين بالضرورة. فهو يتضمن إنكار الجهاد العيني المفروض على المسلمين لطرد الكفار الغزاة من ديار الإسلام كما بينا آنفاً، كما أنه يتضمن إنكار وجوب نصرة المسلمين في فلسطين وهو واجب عيني معلوم من الدين بالضرورة، قال الله تعالى:**(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً)** [النساء 75]. قال القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله) حض على الجهاد، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس" (تفسير القرطبي ج 5 ص 279).

ولم يقتصر الأمر على التخلف عن الفروض العينية بل إن معظم الدول العربية قد شاركت في مؤتمر شرم الشيخ 1996 مع إسرائيل وأمريكا وروسيا ومعظم الدول الغربية حيث اتفق الجميع وتعاهدوا على حماية إسرائيل من هجمات المجاهدين.

وفي هذا الإطار من الانصياع لإرادة أكابر المجرمين استطاعت القوى المعادية للإسلام وعلى رأسها الصليبيون الجدد أن يسخروا حكومات بلادنا لخدمة أهدافهم العسكرية والاقتصادية.

حتى وصلنا إلى ما نراه اليوم من حالة التبعية الكاملة للصليبيين الجدد، ففلسطين تمزق وتدمر ويذبح أبناؤها كل يوم وجاراتها العربيات صامتات أو متواطئات، والعراق تشن عليه الحملة تلو الحملة لقتل شعبه المسلم وتقسيم أرضه ونهب بتروله

وجيرانه العـرب يقـدمون كـل أشـكال المسـاعدة والـدعم لقـوات الصليبيين الجدد، وأفغانستان تعبث بها القـوات الصـليبية وجيرانهـا يتواطئون مع الأمريكان لتمكينهم مـن السـيطرة علـى أفغانسـتان وشعبها.

هذه الفئة وهي فئة الحكام الخارجين على الشريعة لا يخفـى فسـادها وإفسـادها وجرائمهـا علـى عامـة المسـلمين ناهيـك عـن خاصتهم، وموالاتهم لليهود والنصارى أظهر من أن تخفى.

ولـذلك فـإنهم خوفـاً مـن انتفـاض الأمـة المسـلمة وشـبابها المجاهد ضدهم -وخاصة في غمرة تصاعد العدوان الصـهيوأمريكي على فلسطين والعراق والشيشـان وكشـمير- اسـتعانوا بعـدد مـن الفئـات لتخـدير الأمـة وضـمان اسـتمرار عجزهـا وسـلبيتها واستسلامها، وأخطـر هـذه الفئـات هـي الـتي تـتزي بـزي الإسـلام والدعوة إليه، لتنفذ مـن خلالـه إلـى عقيـدة الأمـة وعقلهـا وقلبهـا، تماماً مثلما تحاول الجراثيم الفتاكة أن تتخطى جهاز مناعة الإنسان أو تدمره لتعيث فساداً في خلايا الجسم البشري. وهذا ما سنوجزه في الفقرات التالية.

2- أعوان الحكام: مـن العلمـاء الرسـميين والصـحافيين والإعلاميين والكتاب والمفكرين وغيرهم من الموظفين الرسميين الذين يتلقون رواتبهم فـي مقابـل نصـرة الباطـل وتزيينـه ومعـاداة أهل الباطل وتشويههم.

وهذه الفئـة هـي أعلـى الفئـات صـوتاً فـي المـوالاة للحكـام العملاء والقوات الصليبية الغازية لديار الإسلام، أو أهل الذمـة كمـا يفترون. لكنهـم -للأسـف- هربـوا مـن سـؤال فـي غايـة الخطـورة والحرج: من يدفع الجزية لمن؟

وهذه الفئة بأخلاطهـا المختلفـة اتبعـت أسـلوباً مـن التلفيـق العقائدي بيـن العقائـد المنحرفـة الـتي نبـذها أئمـة الإسـلام سـلفاً وخلفاً؛ أهل السنة والجماعة. فهذه الفئة جمعت بين:

1- عقيدة الإرجاء فـي أفضـح صـورها –بلا حيـاء- فـي إسـباغ الشرعية على أسوأ صور الانحلال والتبعية والفسـاد والنهـب الـذي تمثله الأنظمة الحاكمة المرتدة الخارجة على الشريعة.

2- بالإضافة إلى تبنيها لمنهـج الخـوارج فـي تكفيـر وتفسـيق وتبديع واستباحة دماء وحرمات المجاهدين العاملين للإسلام.

فمفتي الديار المصرية وهو الموظف الرسمي فـي الحكومـة المصرية الذي يتلقى راتبه منها ليؤدي عمله الذي استأجروه عليـه؛ وهو إسباغ الشرعية علـى النظـام العلمـاني البـاطش بالمسـلمين الموالي لليهود، في صورة تتفوق في غلوهـا علـى أشـد عتـاة غلاة المرجئة الأوائل، هو نفسه الذي أفتي المحكمة العسكرية العلمانية

بإعدام المجاهدين الخمسة أبطال الإسلام في مصر -محمد عبد السلام فرج وعبد الحميد عبد السلام وخالد الإسلامبولي وحسين عباس وعطا طايل- الذين قتلوا أنور السادات، الذي وقع أربع اتفاقيات مع إسرائيل تعهد فيها بالاعتراف بدولة إسرائيل واستيلائها على فلسطين، وعدم الاعتداء عليها أو مساندة أية دولة تعتدي إسرائيل عليها، بل ونزع سلاح سيناء ضماناً لأمن إسرائيل، إلى غير ذلك من الاتفاقات السرية.

وأشهر هذه الاتفاقات هي اتفاقية السلام مع إسرائيل في عام 1979 التي نصت على إنهاء الحرب بين مصر وإسرائيل إلى الأبد، ومنعت مصر من مساعدة أية دولة تتعرض لعدوان إسرائيل، بل ودعت إلى التطبيع مع إسرائيل في كل المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية، ثم أصدر الأزهر فتوى يبارك فيها هذه الاتفاقية، ويقرر فيها أنها تتفق مع الشريعة!!

والمفتي الأكبر بالسعودية الذي كان يدعو لطاعة أولياء الأمور، هو الذي كان يعتبر المجاهدين دعاة فتنة، وهو الذي أفتي بجواز الاستعانة بالأمريكان وباعتبار جيوشهم الجرارة التي سدت الأفق وأساطيلهم الجبارة التي ضاق عنها البحر والتي بلغت مئات الألوف من الجنود الغزاة من المستأمنين!! ولا ندري من الذي يؤمن من؟؟ وأفتى مع زملائه في هيئة كبار العلماء بجواز الاستعانة بالقوات الأمريكية لمواجهة النظام البعثي العراقي بدعوى الضرورة، ، بل وأسبغوا الشرعية على وجود جحافل الكفار الغازية لأقدس بقاع المسلمين، وقد مر على وجود هذه القوات حتى الآن قرابة اثنتي عشر عاماً بعد انسحاب العراق واستسلامه، قتلت فيها تلك القوات –بالحصار- قرابة مليون ونصف مليون طفل في العراق دون أن ينطق هؤلاء الموظفون بكلمة واحدة في هذا الشأن.

والأمر ليس أمر استعانة بقوات الكفار ضد قوات صدام البعثية، بل الأمر أمر احتلال لمنابع النفط في جزيرة العرب. فلم يكن هناك ضرورة لإحضار الأمريكان، فإن جيوش الدول العربية والإسلامية كان فيها الكفاية والغنى لحماية الكويت أو تحريرها.

ولكن هؤلاء الحكام لا إرادة لهم، بل هم صنيعة المخططات البريطانية التي رسمت لهم حدودهم، ونصبتهم على عروشهم، ثم ورث الأمريكان النفوذ البريطاني، وأصبح لهم الأمر والنهي على كل حكام الجزيرة العربية وسائر العالم العربي.

إذن فقد جاء السادة ليدافعوا عن ممتلكاتهم، وليس لهؤلاء الشيوخ والملوك شأن بأمن الجزيرة العربية أو الدفاع عنها.

والآن وبعد أن استسلم العراق وفرض الحظر الجوي على نصف أراضيه واستقل الشمال الكردي عن حكومة بغداد وفرضت لجان التفتيش عليه وألزم بدفع التعويضات، بعد كل هذا لا يزال الوجود العسكري الصليبي على جزيرة العرب في ازدياد، بل إنهم يعدون لحملة جديدة على العراق ينتظر لها أن تقتل مئات الآلاف من المسلمين، حتى يستولوا على نفط العراق.

ثم سيتحولون بعد ذلك إلى –كما صرحوا في الكونجرس- إلى السعودية لتقسيمها، ثم إلى مصر وهي الجائزة الكبرى على حد تعبيرهم.

إذن المسألة ليست مسألة استعانة بل المسألة مسألة احتلال وسلب ونهب وسيطرة وقهر من الصليبيين على المسلمين في أقدس أراضيهم؛ جزيرة العرب. وهؤلاء الحكام ما هم إلا طلاء باهت على جدار الوجود الأمريكي، ثم يأتي –بعد ذلك- علماء السلطان ليوقعوا على الفتاوى المحولة لهم من المقام السامي، التي تبيح هذا الاستيلاء وهذا النهب وهذا التسلط الصليبي بل وهذا السفك لدماء المسلمين في العراق.

ثم يفتي المفتي العام للسعودية -أيضاً- بجواز الصلح مع إسرائيل لأن الذي عقده معهم هو ولي أمر المسلمين (ياسر عرفات).

وبعض المنتسبين إلى الدعوة في الكويت صرخوا بعد قتل المجاهدين للأمريكان في فيلكا، وانتفضوا غاضبين للتعدي على الصليبيين الذين وصفوهم بأهل الذمة، ونسوا أن أهل الذمة يعيشون تحت ظل سلطان المسلمين، ويدفعون لهم الجزية، وتجري عليهم أحكام الإسلام، بينما هؤلاء المشايخ وأمرائهم يعيشون تحت قهر الصليبيين وفي سلطانهم، ويلجأون إلى حمايتهم ويدفعون لهم الأموال الباهظة طوعاً وكرهاً حتى يرضوا عنهم، ولا يستطيعون أن يخالفوا إرادتهم قيد أنملة. فمن في ذمة من؟ ومن يدفع الجزية لمن؟ ومن في قهر من؟

ونسوا أيضاً أن الكويت من جزيرة العرب ولا يجوز بقاء اليهود والنصارى فيها أصلاً.

وكل هؤلاء -الذين يقطعون الطريق إلى الله- يأمرون الناس بطاعة أولئك الخارجين على الشريعة في ترك الجهاد الواجب، فارتكبوا بذلك عدة مصائب:

أ- أعانوا على استمرار استيلاء الكفار على بلاد الإسلام.

ب- ثبطوا الناس عن الجهاد العيني المفروض عليهم.

ج- أضفوا الشرعية على الحكومات الباطلة الخارجة على الشريعة.

د- سبوا المجاهدين وافتروا عليهم.

ومـن الحيـل الـتي يسـوقها هـؤلاء دعـواهم أن الجهـاد حـق وواجب وأنه طريق الخلاص ولكن ليس الآن وقتـه، فالمرحلـة الآن مرحلة الإعداد، والمرحلة الآن مرحلة التفرغ للدعوة، إلى آخر هذه الدعاوى.

ويجادلون عن هذه الشبهة جدالاً شديداً، ولكنهم يتهربون من السؤال المحرج الخطير: لماذا بعد كل هذه العقود من المذلـة لـم تعدوا شـيئاً؟ ومـتى سـينتهى هـذا الإعـداد؟ ولا جـواب عنـدهم لأن الإعـداد عنـدهم لا نهايـة لمـدته. قـال اللـه تعـالى: **(ولـو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة)** [التوبة 46].

وليتهم حتى أصلحوا عقائد الناس ، وبينوا لهم عقيدة التوحيـد الصافية كما أنزلت على النبي صلى الله عليـه وسـلم، وكمـا نقلهـا السلف الصالح، ولكنهم -وللأسـف- يبـدون بعضـها ويخفـون كـثيراً منها.

فجل كلامهم في التوحيد ينصب علـى العام ة والضـعفاء، أمـا خروج الحكام الطواغيت عن الإسلام ومـوالاتهم لليهـود والنصـارى فلا يتطرقون إليه.

ومن العجب أن بلاد الإسلام واقعة تحت النفـوذ الأجنـبي منـذ عقود، وليس الوجود العسـكري الاحتلالـي الصـليبي الحـالي نتيجـة مفاجأة أو انقلاب طارئ في السياسة الدولية، بل هو ثمرة سياسـة مستمرة من التبعية للغرب تمتد لما يزيد عن مائة عـام، ومـع ذلـك لم نسمع من هـؤلاء عـن هـذه المصـيبة شـيئاً إلا نـادراً وبإشـارات عابرة وبعيدة.

وتـارة يشـغبون بقـولهم إن المجاهـدين لا يقـدرون المصـالح والمفاسـد، وأن مـا جلبـوه مـن المفاسـد أكـثر ممـا حققـوه مـن المصالح، ولكنهم لا يجيبون على السؤال المحرج: حسـناً، ومـا هـو الأسلوب الجهادي الذي تقترحونه والذي يحقـق المصـالح ويتجنـب المفاسد؟ والجواب عندهم هو: ترك الجهاد.

وإذا سألتهم: لو فرضنا أن المجاهـدين لـم يقومـوا بـواجبهم، وانضموا إلى صفكم؛ صف القاعدين التـاركين للجهـاد تحـت شـتى المبررات، فهل كان أعداء الأمـة سـيتوقفون عـن عـدوانهم؟ وهـل كان الفساد والإفساد سينحسر؟ وهل كـان اليهـود سـيرحلون عـن فلسـطين؟ وهـل كـانت إسـرائيل سـتكف عـن مخططهـا لتهويـد فلسـطين وهـدم المسـجد الأقصـى والسـعى لإقامـة إسـرائيل الكبرى؟ وهل كان العلمانيون سيكفون عن زيغهم وتضليلهم؟ وهل كان مروجي الفاحشة سيتوبون ويتعففون؟ وهـل كـان الطـواغيت

الحاكمون سيتركون كراسيهم ويفتحون أبـواب السـجون ويكفـون جلاديهم عن تعذيب شعوبهم؟ وهل وهل وهل؟

ثم يضيفون إلى هذه الشبهات مزيداً من السـحب والحجـب، فيخاطبون الشباب بقولهم: لماذا لا تنشغلون بطلب العلـم؟ لمـاذا لا تنشغلون بمحاورة الكفار ومجادلتهم؟ لمـاذا لا تنشـغلون بإنشـاء المـدارس ورعايـة الأيتـام ومـداواة المرضـى؟ لمـاذا لا تنشـغلون بالـدعوة إلـى العقيـدة الصـحيحة؟ وليتهـم صـدقوا فـي دعـوتهم لتصـحيح العقيـدة. وحقيقـة دعـوتهم هـي: لمـاذا لاتنشـغلون عـن الجهاد؟؟

إنه مرض فقدان المناعـة العقائـدي الفكـري، فلنحـذره أشـد الحذر، فإن عاقبته الضياع والخسران والذل والاستسلام.

وحاصل دعوتهم تثبيط المجاهدين عن الجهاد، وإخلاء الميدان من الشباب المجاهد حتى يأمن الغزاة المعتدين من أية مقاومـة أو تدافع، ولذلك فإن أعداء الإسلام ينظرون إليهم في رضا ويشـيرون على حكوماتهم بإفساح المجال لهم.

3- دعاة التصالح الموهوم:

والفئة الثالثة من الفئات المنحرفة عـن منهـج الـولاء والـبراء هي الفئة التي تـدعو إلـى التصـالح مـع الحكومـات الخارجـة علـى الشريعة لمقاومة أعداء الأمة.

ومنطقهم ملخصه: نتعاون مـع اللـص مـن أجـل اسـتعادة مـا سرقه منا، ونتصالح مع الفـاجر مـن أجـل الحفـاظ علـى الأعـراض الـتي انتهكهـا، ولـو طـردوا قاعـدتهم لقـالوا: نتصـالح مـع اليهـود والنصارى حتى نقنعهم بالخروج من بلادنا ويرحلوا في سلام عنـا؟؟ ويطالبوننا بأن نكذب الواقع المشاهد ونصدق هذه الأوهام.

وحاصل دعـوة هـؤلاء -أيضـاً- هـو كـف المقاومـة عـن العـدو الأساسي للأمة، وتسليم قياد المجاهدين إلى الخونـة الـذين يطفـح تاريخهم بالجرائم ضد الإسلام، والـذين لـم يـدافعوا عـن فلسـطين يوماً، ولم يألوا جهداً في الاعتراف بإسرائيل، وفتـح بلادنـا للقـوات الصليبية.

5- مجاهدو أمريكا:

والفئة الرابعة من الفئات المنحرفة عن عقيدة الولاء والـبراء في هذا الزمان هم بعض الجماعات والقيـادات المنتسـبين للجهـاد في أفغانستان، الذين والوا الأمريكان ومنهـم مـن كـان يشـار إليـه بالبنان، تحرسـهم قـوات حفـظ السـلام الدوليـة تحـت علـم الأمـم المتحــدة، وتحيــط بهــم القــوات الأمريكيــة، وتظلهــم القاذفــات الأمريكية، وهم مسرورون على ما نالوه مـن فتـات السـلطة علـى أشلاء شعبهم ودماء المجاهدين!!

قال الله تعالى: **(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم، فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصادقين ونبلو أخباركم)** [محمد 22-31].